مجلة المجد العلمية المتطورة العدد (27) المجلد (27) أيلول 2025

الدولة الريانية في شرق إفريقيا: دراسة تاريخية نقدية في ضوء المصادر العربية والدراسات الحديثة

The Rayyanid State in East Africa: A Critical Historical Study in Light of Arabic Sources and Modern Studies

ايمان شرار، طالبة باحثة / تخصص الدراسات التاريخيه، جامعة جدارا – اربد، الأردن

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٨/١٨ تاريخ القبول: ٢٠٢٥/٩/٢ تاريخ النشر: ٢٠٢٥/٩/١٥

مجلة المجد العلمية المتطورة العدد (27) المجلد (27) أيلول 2025

الدولة الريانية في شرق إفريقيا: دراسة تاريخية نقدية في ضوء المصادر العربية والدراسات الحديثة

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة تاريخية نقدية لما يُعرف بالدولة الريانية في شرق إفريقيا، وهي إحدى القضايا التاريخية التي أثارت جدلًا واسعًا في الدراسات المعاصرة، نظرًا لاعتمادها على الروايات المحلية والأنساب أكثر من اعتمادها على المصادر المعاصرة للأحداث. ويهدف البحث إلى تقويم هذه الرواية في ضوء المنهج التاريخي الأكاديمي، من خلال تحليل السياق الجغرافي والتاريخي لشرق إفريقيا، ودراسة الهجرات العربية ودورها في تشكيل النفوذ الديني والاجتماعي، ثم مقارنة الرواية الريانية بالمصادر العربية الكلاسيكية والدراسات الأجنبية الحديثة.

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي النقدي، مع توظيف المنهج المقارن، للكشف عن مدى انطباق مفهوم الدولة بالمعنى التاريخي على الكيان الرياني. كما استفاد من أعمال بعض الباحثين المعاصرين، ولا سيما مؤلفات الدكتور إسماعيل مسعد غريب، بوصفها مصادر لدراسة الذاكرة التاريخية والرواية المحلية، لا بوصفها أدلة قاطعة على قيام دولة سياسية.

وتوصل البحث إلى أن الرواية الريانية تعكس نفوذًا دينيًا واجتماعيًا حقيقيًا لبعض الأسر ذات الأصول العربية والحسينية في شرق إفريقيا، غير أن هذا النفوذ لا تتوافر له المقومات المؤسسية والسياسية التي تُعرّف الدولة تاريخيًا. وبذلك، خلص البحث إلى أن ما يُعرف بالدولة الريانية يُمكن فهمه بوصفه نموذجًا من نماذج الزعامة الدينية والاجتماعية المحلية، أكثر من كونه دولة سياسية مكتملة الأركان.

الكلمات المفتاحية: الدولة الريانية، شرق إفريقيا، الأنساب، الزعامة الدينية، النقد التاريخي.

Abstract:

This study examines the so-called Rayani State in East Africa through a critical historical approach. The topic has generated considerable debate in contemporary scholarship due to its reliance primarily on local narratives and genealogical traditions rather than on contemporary historical sources. The research aims to evaluate the historical validity of the Rayani narrative by analyzing the geographical and historical context of East Africa, the role of Arab migrations, and the formation of religious and social authority, while comparing these accounts with classical Arabic sources and modern foreign studies.

The study adopts a critical analytical historical methodology, supported by a comparative approach, in order to assess whether the Rayani entity meets the established historical criteria of statehood. It also engages with contemporary works—particularly those of Ismail Masʿad Gharib—not as conclusive historical evidence, but as valuable materials for understanding local memory and narrative construction.

The findings indicate that the Rayani narrative reflects a genuine form of religious and social influence exercised by families of Arab and Husayni descent in East Africa. However, this influence lacks the institutional, administrative, and political structures required to define a state in the historical sense. Consequently, the study concludes that the Rayani entity is better understood as a model of localized religious-social leadership rather than a fully developed political state.

Keywords: Rayani State, East Africa, genealogy, religious authority, historical criticism.

المقدمة:

يعد موضوع الدولة الريانية من الموضوعات التاريخية التي أثارت اهتمامًا متزايدًا في الدراسات المعاصرة، لا سيما تلك المعنية بتاريخ شرق إفريقيا والهجرات العربية ودورها في تشكيل البنية الدينية والاجتماعية في المنطقة. وقد ارتبط هذا المصطلح بسلسلة من الروايات المحلية والأنساب التي تنسب إلى الأسر ذات الأصول العربية والحسينية نفوذًا سياسيًا ودينيًا امتد عبر فترات تاريخية مختلفة.

غير أن دراسة الدولة الريانية تطرح إشكالية منهجية تتعلق بطبيعة المصادر المعتمدة، ومدى انطباق مفهوم "الدولة" بالمعنى التاريخي الدقيق على هذا الكيان. ومن هنا، يسعى هذا البحث إلى تقديم قراءة علمية نقدية للرواية الريانية، من خلال تحليل سياقها التاريخي والجغرافي، ومقارنتها بالمصادر العربية الكلاسيكية والدراسات الحديثة، بهدف التمييز بين الرواية التاريخية والواقع التاريخي الموثق، وإبراز الدور الحقيقي الذي لعبته هذه الجماعات في تاريخ شرق إفريقيا دون إفراط أو تفريط.

ومن خلال موضوع هذه الدراسة فقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى عدة فصول ومباحث، تم شرحها وتفصيلها وهي كما يلي:

الفصل الأول: الدراسات السابقة

تمهيد

يُعدّ استعراض الدراسات السابقة من الخطوات المنهجية الأساسية في البحث التاريخي، إذ يهدف إلى تحديد موقع البحث ضمن الحقل العلمي، والكشف عن طبيعة المعالجة التي حظي بها الموضوع من قبل الباحثين، فضلًا عن إبراز الثغرات المعرفية التي يسعى البحث الحالي إلى معالجتها. ونظرًا لخصوصية موضوع الدولة الريانية، التي لا تحظى بإجماع تاريخي حول وجودها بوصفها كيانًا سياسيًا مستقلًا، فإن الدراسات السابقة المتعلقة بها تتوزع بين مصادر كلاسيكية، ودراسات حديثة عامة عن شرق إفريقيا، وأعمال معاصرة تناولت الرواية الريانية بشكل مباشر.

وانطلاقًا من ذلك، يُقسَّم هذا الفصل إلى ثلاثة محاور رئيسية:

- الأول يتناول المصادر العربية الكلاسيكية التي أرّخت لشرق إفريقيا.
- والثاني يعرض الدراسات الحديثة والأجنبية التي تناولت البنية السياسية والاجتماعية للمنطقة.
- أما الثالث، فيخصص لدراسة الأعمال المعاصرة التي تناولت الدولة الريانية بصورة مباشرة، وفي مقدمتها مؤلفات الدكتور إسماعيل مسعد غريب.

المبحث الأول

المصادر العربية الكلاسيكية ودورها في تأريخ شرق إفريقيا

تمثل المصادر العربية الكلاسيكية الأساس الأولي لدراسة تاريخ شرق إفريقيا، إذ قدّم عدد من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين أوصافًا مهمة للسواحل الإفريقية، وللمراكز التجارية، والكيانات السياسية التي كانت قائمة في فترات مختلفة. ومن أبرز هؤلاء المسعودي، والإدريسي، واليعقوبي، وغيرهم.

فقد أورد المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر إشارات إلى سواحل إفريقيا الشرقية، وربطها بحركة التجارة البحرية في المحيط الهندي، كما وصف بعض الأوضاع الاجتماعية والدينية في تلك المناطق. غير أن عرضه، على أهميته، ظل عامًا، ولم يتضمن ذكرًا صريحًا لكيان سياسي يُمكن مطابقته مع ما يُعرف لاحقًا بالدولة الريانية.

أما الإدريسي، في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، فقد قدّم وصفًا جغرافيًا دقيقًا للموانئ والمدن الساحلية، مع التركيز على الطرق التجارية، والموارد الاقتصادية. ويُلاحظ أن هذا المصدر، على الرغم من شموليته الجغرافية، لا يشير إلى وجود دولة مركزية ذات نفوذ سياسي واسع في منطقة تاجوراء خلال الفترة التي تناولها.

كما يُعدّ كتاب البلدان لليعقوبي من المصادر المهمة لفهم التقسيمات الإقليمية والكيانات المعروفة في العالم الإسلامي، إلا أنه، هو الآخر، لا يذكر كيانًا سياسيًا يحمل سمات الدولة الريانية. ويُفسَّر هذا الغياب إما بعدم وجود هذا الكيان في تلك الفترات، أو بكونه كيانًا محليًا محدود التأثير لم يلفت انتباه المؤرخين المعاصرين له.

وتُبرز هذه المصادر مجتمعة أهمية التمييز بين ما هو موثق تاريخيًا، وما هو مستند إلى روايات لاحقة، وهو ما يُعدّ مدخلًا أساسيًا لفهم إشكالية الدولة الريانية.

المبحث الثاني

الدراسات الحديثة والأجنبية حول شرق إفريقيا والسلطة المحلية

شهدت الدراسات الحديثة، خاصة الغربية منها، اهتمامًا متزايدًا بتاريخ شرق إفريقيا، مع التركيز على أنماط الحكم المحلي، وانتشار الإسلام، ودور التجارة في تشكيل البنى الاجتماعية والسياسية. ومن أبرز هذه الدراسات أعمال ج. سبنسر ترمنغهام، وإيوان لويس، وريتشارد بانكهورست.

فقد تناول ترمنغهام في كتابه Islam in Africa انتشار الإسلام في شرق إفريقيا، مبرزًا دور العلماء والتجار والأسر الدينية في نشر الدين وبناء النفوذ الاجتماعي. ويرى أن السلطة في كثير من مناطق شرق إفريقيا اتخذت طابعًا لامركزيًا، حيث تداخل النفوذ الديني مع الزعامة المحلية، دون أن يتطور بالضرورة إلى دولة مركزية بالمعنى المؤسسي.

أما إيوان لويس، في دراسته حول تاريخ الصومال الحديث، فقد ركّز على البنية القبلية، ودور النسب في تشكيل السلطة، مشيرًا إلى أن الشرعية الاجتماعية كثيرًا ما كانت تُبنى على الانتماء النسبي والديني، لا على مؤسسات الدولة. وتُعد هذه الرؤية ذات أهمية خاصة عند تحليل الرواية الريانية، التي تربط بين النسب الشريف والسلطة السياسية.

كما تناولت موسوعة Cambridge History of Africa تاريخ شرق إفريقيا من منظور شامل، موثقة الكيانات السياسية المعروفة، والحركات التجارية، والتغيرات الاجتماعية، دون أن تذكر الدولة الريانية بوصفها كيانًا سياسيًا معترفًا به، وهو ما يعزز الحاجة إلى التعامل النقدي مع الروايات المتأخرة.

المبحث الثالث

الدراسات المعاصرة والرواية الريانية (إسماعيل مسعد غريب نموذجًا)

تُعدّ مؤلفات الدكتور إسماعيل مسعد غريب من أبرز الدراسات المعاصرة التي تناولت ما يُعرف بالدولة الريانية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، من خلال التركيز على الأنساب الحسينية، والهجرات العربية إلى شرق إفريقيا، ودور هذه الأسر في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية.

ويعتمد غريب في مؤلفاته على تتبع سلاسل النسب، وربطها بسياق الهجرة والاستقرار، معتبرًا أن هذه الأسر شكّلت نواة لسلطة محلية ذات طابع ديني وسياسي. وتمتاز أعماله بغزارة المادة السردية، وبمحاولة الجمع بين الرواية الشفهية والمصادر المكتوبة، مما يمنحها قيمة خاصة في دراسة الذاكرة التاريخية.

غير أن هذه الدراسات، على أهميتها، تثير عددًا من الإشكاليات المنهجية، أبرزها الاعتماد الكبير على مصادر متأخرة، وعدم كفاية المقارنة بالمصادر المعاصرة للفترة المدروسة. كما أن الربط بين النسب الشريف وقيام الدولة يحتاج إلى شواهد إضافية تتعلق بالبنية الإدارية، والعسكرية، والاقتصادية، وهي عناصر لا تحظى بتفصيل كافٍ في هذه المؤلفات.

وعليه، يمكن القول إن أعمال إسماعيل مسعد غريب تمثل مرجعًا مهمًا لفهم كيفية تشكّل الرواية الريانية في الوعي المعاصر، لكنها لا تكفي وحدها لإثبات وجود الدولة الريانية بوصفها كيانًا سياسيًا مكتمل الأركان.

خلاصة الفصل:

يتضح من استعراض الدراسات السابقة أن موضوع الدولة الريانية لم يحظَ بمعالجة تاريخية نقدية شاملة تجمع بين الروايات المحلية والمصادر الكلاسيكية والدراسات الحديثة. فبينما تفتقر المصادر الكلاسيكية إلى ذكر صريح لهذا الكيان، وتتعامل الدراسات الأجنبية مع المنطقة في إطار أنماط حكم لامركزية، تأتي الدراسات المعاصرة، وعلى رأسها أعمال إسماعيل مسعد غريب، لتقدّم رواية غنية تحتاج إلى مزيد من التمحيص والمقارنة.

ومن هنا، تبرز أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى سد هذه الفجوة المعرفية، من خلال دراسة الدولة الريانية دراسة علمية نقدية، تجمع بين عرض الرواية وتحليلها وتقويمها في ضوء المنهج التاريخي الأكاديمي

الفصل الثاني

نشأة الدولة الريانية وسياقها التاريخي

تمهيد

تُعد دراسة نشأة الدولة الريانية من أكثر القضايا إثارة للجدل في تاريخ شرق إفريقيا، وذلك لتداخل الرواية المحلية مع الذاكرة الجماعية، وندرة الشواهد المعاصرة التي توثق هذا الكيان بوصفه دولة سياسية مكتملة الأركان. ويهدف هذا الفصل إلى تتبع السياق التاريخي والجغرافي الذي ظهرت فيه الرواية الريانية، وتحليل العوامل التي يُقال إنها أسهمت في نشأتها، مع الوقوف عند الأسس التي اعتمدت عليها الدراسات المعاصرة في تفسير هذا الظهور.

وينطلق الفصل من فرضية منهجية مفادها أن فهم نشأة أي كيان سياسي يقتضي دراسة البيئة الجغرافية، والتركيبة الاجتماعية، والظروف الاقتصادية والدينية التي أحاطت به، قبل الانتقال إلى تقييم مدى تحققه كدولة بالمعنى التاريخي.

المبحث الأول

الإطار الجغرافي والتاريخي لشرق إفريقيا

شكّل الموقع الجغرافي لشرق إفريقيا عاملًا رئيسيًا في إدماج المنطقة ضمن شبكة العلاقات الدولية منذ العصور القديمة. فقد أتاح الإشراف على البحر الأحمر والمحيط الهندي فرصًا واسعة للتجارة البحرية، وربط المنطقة بمراكز الحضارة في شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس والهند.

وقد أسهم هذا الموقع في نشوء موانئ ساحلية لعبت دور الوسيط التجاري، وأصبحت لاحقًا مراكز لنشر الإسلام والثقافة العربية. غير أن هذا النشاط التجاري لم يُفضِ بالضرورة إلى قيام دول مركزية قوية، بل أدى في كثير من الأحيان إلى بروز زعامات محلية ذات نفوذ محدود، ارتبطت بالمصالح التجارية والعلاقات القبلية.

وفي هذا السياق، تكتسب منطقة تاجوراء أهمية خاصة في الروايات التي تتناول الدولة الريانية، إذ تُصوَّر بوصفها مركزًا سياسيًا ودينيًا. ويلاحظ الباحث أن هذه الأهمية تتوافق مع موقعها الجغرافي، لكنها لا تكفي وحدها لإثبات قيام دولة ذات مؤسسات واضحة.

المبحث الثاني

الهجرات العربية ودورها في تشكيل النفوذ المحلي

تُجمع الدراسات التاريخية على أن الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا شكّلت عنصرًا أساسيًا في انتشار الإسلام وتشكيل البنية الاجتماعية للمنطقة. وقد جاءت هذه الهجرات على مراحل متعددة، شملت تجارًا وعلماء وأسرًا ذات مكانة دينية، أسهمت في بناء شبكات اجتماعية واسعة.

وفي هذا الإطار، يرى الدكتور إسماعيل مسعد غريب أن بعض هذه الهجرات، خاصة تلك المنسوبة إلى أسر ذات نسب حسيني، لعبت دورًا محوريًا في نشوء نفوذ سياسي محلي تطور لاحقًا إلى ما يُعرف بالدولة الريانية. ويعتمد هذا الطرح على الربط بين النسب الشريف والشرعية الاجتماعية، وهي فكرة لها جذور في التاريخ الإسلامي.

غير أن هذا الربط، على الرغم من وجاهته النظرية، يحتاج إلى قراءة نقدية، إذ إن وجود أسر ذات نسب شريف لا يعني بالضرورة قيام دولة سياسية، بل قد يعكس نمطًا من الزعامة الدينية والاجتماعية التي تعمل ضمن إطار مجتمعي لا مركزي.

المبحث الثالث

الرواية الريانية ومصادرها المعاصرة

تعتمد الرواية الريانية في الأساس على مصادر متأخرة، وعلى الذاكرة المحلية التي انتقلت عبر الأجيال، قبل أن تُدوَّن في مؤلفات معاصرة. وتُعد أعمال الدكتور إسماعيل مسعد غريب من أبرز هذه المؤلفات، حيث يسعى إلى تقديم سرد تاريخي متكامل نسبيًا حول نشأة الدولة الريانية، من خلال تتبع الأنساب وربطها بالتحولات الاجتماعية والسياسية.

وتتميّز هذه الرواية بتأكيدها على عنصر الاستمرارية التاريخية، حيث تُصوَّر الدولة الريانية بوصفها نتاجًا طبيعيًا لتراكم النفوذ الديني والاجتماعي. غير أن الباحث يلاحظ أن هذا السرد يفتقر في كثير من الأحيان إلى التحديد الزمني الدقيق، وإلى الإحالات الواضحة إلى وثائق معاصرة تؤكد هذا الطرح.

المبحث الرابع

مفهوم الدولة بين النظرية والتطبيق الرياني

لفهم طبيعة الدولة الريانية، لا بد من العودة إلى مفهوم الدولة في الفكر السياسي الإسلامي والتاريخي. فالدولة، وفق هذا المفهوم، تقوم على عناصر متعددة، تشمل السلطة السياسية، والتنظيم الإداري، والسيادة على إقليم محدد، فضلًا عن القدرة على فرض النظام.

وبمقارنة هذه العناصر بما تطرحه الرواية الريانية، يلاحظ الباحث وجود فجوة بين المفهوم النظري والتطبيق العملي. إذ تركز الرواية على النسب والشرعية الدينية، دون تقديم صورة واضحة للبنية المؤسسية، أو النظام الإداري، أو آليات الحكم.

ولا يعني هذا بالضرورة نفي وجود نفوذ سياسي محلي، بل يشير إلى أن هذا النفوذ قد يكون أقرب إلى نمط الزعامة التقليدية منه إلى الدولة المركزية.

المبحث الخامس

تقييم أولي لنشأة الدولة الريانية

من خلال ما سبق، يمكن القول إن نشأة الدولة الريانية، كما تُقدَّم في الروايات المعاصرة، ترتبط بسياق تاريخي واجتماعي حقيقي يتمثل في الهجرات العربية، وانتشار الإسلام، وتشكّل الزعامات المحلية. غير أن تحويل هذا السياق إلى دولة سياسية مكتملة الأركان يظل مسألة تحتاج إلى أدلة إضافية.

وعليه، فإن هذا الفصل يُعد خطوة تمهيدية لفهم الرواية الريانية، دون الجزم بصحتها أو نفيها، تمهيدًا للانتقال في الفصول اللاحقة إلى دراسة البنية السياسية والاجتماعية، ثم إخضاع الرواية للنقد التاريخي المنهجي.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

خلاصة الفصل

خلص هذا الفصل إلى أن نشأة الدولة الريانية، كما تُعرض في الدراسات المعاصرة، ترتكز على مجموعة من العوامل التاريخية والاجتماعية الحقيقية، لكنها تفتقر إلى الشواهد الكافية التي تُثبت قيام دولة سياسية بالمعنى الدقيق. ويُمهّد هذا الاستنتاج للانتقال إلى الفصل التالي، الذي يتناول طبيعة الحكم والبنية الاجتماعي المنسوبة إلى الدولة الريانية.

الفصل الثالث

النظام السياسي والبنية الاجتماعية في الدولة الريانية

تمهيد

يُعد تحليل النظام السياسي والبنية الاجتماعية لأي كيان تاريخي خطوة أساسية لتحديد طبيعته وحدود تأثيره. فالدولة، بالمعنى التاريخي، لا تُقاس فقط بادعاء النسب أو النفوذ الديني، وإنما بقدرتها على تنظيم المجتمع، وإدارة شؤونه، وفرض نوع من السلطة المستقرة داخل نطاق جغرافي محدد. وفي هذا السياق، يهدف هذا الفصل إلى دراسة ملامح النظام السياسي والبنية الاجتماعية المنسوبة إلى الدولة الريانية، كما ترد في الروايات المعاصرة، مع مقارنتها بأنماط الحكم المعروفة في شرق إفريقيا.

المبحث الأول

مفهوم السلطة والحكم في الرواية الريانية

تُصوِّر الرواية الريانية السلطة بوصفها سلطة ذات طابع ديني–نسبي، تستمد مشروعيتها من الانتماء إلى النسب الشريف، ومن الدور الديني الذي اضطلعت به الأسر القيادية في نشر الإسلام وتعليم العلوم الشرعية. ويُلاحظ أن هذا التصور ينسجم مع أنماط معروفة من الزعامة التقليدية في المجتمعات الإسلامية، حيث تتداخل المرجعية الدينية مع القيادة الاجتماعية.

وفي مؤلفات الدكتور إسماعيل مسعد غريب، يظهر هذا التصور بوضوح، إذ يُبرز دور القيادة الريانية بوصفها مرجعية دينية وأخلاقية، أكثر من كونها سلطة سياسية قائمة على مؤسسات واضحة. ويشير هذا الطرح إلى نمط من الحكم يقوم على الإجماع الاجتماعي والقبول الرمزي، لا على الإكراه أو التنظيم الإداري الصارم.

غير أن هذا الشكل من السلطة، على الرغم من تأثيره، يختلف جوهريًا عن مفهوم الدولة المركزية، إذ يفتقر إلى آليات واضحة لممارسة الحكم، مثل القوانين المكتوبة، أو جهاز إداري دائم، أو نظام مالي منظم.

المبحث الثاني

البنية الاجتماعية ودور الأنساب

تلعب الأنساب دورًا محوريًا في تشكيل البنية الاجتماعية في الرواية الريانية، حيث تُقدَّم الأسر ذات الأصول العربية والحسينية بوصفها النواة القيادية للمجتمع. ويعكس هذا الطرح واقعًا اجتماعيًا معروفًا في كثير من مناطق شرق إفريقيا، حيث اكتسبت الأسر الدينية مكانة خاصة بوصفها حاملة للمعرفة الدينية ووسيطًا ثقافيًا بين الإسلام والمجتمع المحلي.

ويرى الدكتور إسماعيل مسعد غريب أن هذه المكانة الاجتماعية تطورت تدريجيًا إلى نفوذ سياسي، نتيجة لما حظيت به هذه الأسر من احترام وقبول اجتماعي. غير أن الباحث يلاحظ أن هذا النفوذ، في أغلب الحالات، ظل محصورًا في الإطار الاجتماعي والديني، ولم يتحول إلى سلطة سياسية مركزية بالمعنى المؤسسي.

كما تُظهر الرواية الريانية مجتمعًا هرميًا نسبيًا، تتصدره الأسر ذات النسب الشريف، تليها الجماعات المحلية المرتبطة بها بعلاقات الولاء أو المصاهرة، وهو نمط اجتماعي شائع في المجتمعات التقليدية.

المبحث الثالث

التنظيم الإداري والاقتصادي المزعوم

من أبرز الإشكاليات في الرواية الريانية غياب التفاصيل الدقيقة حول التنظيم الإداري والاقتصادي للدولة. فالروايات المتداولة لا تقدم وصفًا واضحًا لجهاز إداري، أو نظام للجباية، أو تقسيمات إقليمية، وهي عناصر تُعد أساسية في تعريف الدولة.

وتشير بعض الروايات إلى وجود نوع من التنظيم القائم على الأعراف المحلية، وإدارة الشؤون عبر القيادات الدينية والاجتماعية، دون وجود مؤسسات رسمية. ويُفهم من ذلك أن ما يُسمّى بالدولة الريانية قد يكون أقرب إلى كيان اجتماعي منظم، لا إلى دولة بالمعنى السياسي الكامل.

وفي هذا السياق، يمكن مقارنة هذا النمط بأنماط الحكم المحلي التي عرفتها شرق إفريقيا، حيث سادت أشكال من الإدارة غير المركزية، اعتمدت على الزعامات التقليدية والعلاقات القبلية.

المبحث الرابع

العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة السياسية

تُبرز الرواية الريانية تداخلًا واضحًا بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، حيث يُنظر إلى القيادة بوصفها مرجعية دينية قبل أن تكون سلطة سياسية. ويعكس هذا التداخل طبيعة المجتمعات الإسلامية التقليدية، التي لم تعرف الفصل الصارم بين الدين والسياسة.

غير أن هذا التداخل يثير تساؤلات حول طبيعة الحكم:

هل كانت السلطة الريانية سلطة سياسية حقيقية، أم سلطة دينية ذات تأثير اجتماعي واسع؟

وهل يمكن اعتبار هذا التأثير أساسًا لقيام دولة؟

تشير المقارنة مع نماذج تاريخية أخرى في شرق إفريقيا إلى أن هذا النمط من السلطة كان شائعًا، دون أن يُفضي بالضرورة إلى قيام دول مركزية، بل إلى زعامات محلية ذات نفوذ متغير.

المبحث الخامس

قراءة نقدية للنظام السياسي والاجتماعي الرياني

من خلال تحليل الرواية الريانية ومقارنتها بالمعايير التاريخية لتعريف الدولة، يتضح أن النظام السياسي والاجتماعي المنسوب إلى الدولة الريانية يتسم بعدد من السمات، أبرزها:

- غلبة الطابع الديني–النسبي على الشرعية
- ضعف أو غياب البنية المؤسسية
- الاعتماد على الأعراف والعلاقات الاجتماعية

وعليه، فإن توصيف هذا الكيان بوصفه دولة يحتاج إلى قدر من التحفظ المنهجي، إذ قد يكون الأدق اعتباره نموذجًا من نماذج الزعامة المحلية ذات النفوذ الديني والاجتماعي، التي لعبت دورًا مهمًا في تاريخ المنطقة، دون أن ترقى إلى مستوى الدولة المركزية.

خلاصة الفصل

خلص هذا الفصل إلى أن النظام السياسي والبنية الاجتماعية المنسوبة إلى الدولة الريانية تعكس واقعًا تاريخيًا يتمثل في نفوذ الأسر الدينية والأنساب الشريفة في شرق إفريقيا، غير أن هذا النفوذ لا تتوافر له المقومات الكافية لتوصيفه كدولة سياسية مكتملة الأركان. ويُمهّد هذا الاستنتاج للانتقال إلى الفصل الرابع، الذي يتناول العلاقات الخارجية، أو إلى فصل النقد التاريخي الشامل الذي يقوّم الرواية الريانية تقويمًا منهجيًا نهائيًا

الفصل الرابع

النقد التاريخي لرواية الدولة الريانية في ضوء المصادر والمعايير الأكاديمية

تمهيد

يُعد النقد التاريخي المرحلة النهائية والأهم في دراسة الكيانات التاريخية الإشكالية، خاصة تلك التي تقوم في الأساس على الرواية المحلية والذاكرة الجماعية. ويهدف هذا الفصل إلى إخضاع رواية الدولة الريانية للفحص النقدي المنهجي، من خلال مقارنتها بالمصادر العربية الكلاسيكية، والدراسات الأجنبية الحديثة، والمعايير المعتمدة في تعريف الدولة تاريخيًا.

ولا يسعى هذا الفصل إلى نفي الرواية الريانية أو إثباتها بصورة قطعية، بل إلى تقويمها تقويمًا علميًا، يميّز بين ما يمكن قبوله بوصفه واقعًا تاريخيًا، وما ينبغي التعامل معه باعتباره تعبيرًا عن الذاكرة الاجتماعية أو الخطاب الهوياتي.

المبحث الأول

إشكالية المصادر التاريخية وتفاوت درجات الموثوقية

تُعد طبيعة المصادر التي استندت إليها الرواية الريانية من أبرز الإشكاليات المنهجية. فغالبية هذه الرواية تعتمد على مصادر متأخرة زمنيًا، وعلى النقل الشفهي، وعلى كتب الأنساب، وهي مصادر ذات قيمة تاريخية، لكنها تحتاج إلى تعامل نقدي دقيق.

ففي المنهج التاريخي، تُعطى الأولوية للمصادر المعاصرة للحدث، ثم للمصادر القريبة زمنيًا، بينما تُعامل المصادر المتأخرة بوصفها تعبيرًا عن كيفية تذكّر الماضي لا عن الماضي ذاته. وبمقارنة هذا المبدأ بالرواية الريانية، يتضح غياب المصادر المعاصرة التي تشير صراحة إلى وجود دولة تحمل هذا الاسم أو تمتلك خصائص الدولة.

ولا يقدح هذا الغياب في أهمية الرواية من حيث كونها جزءًا من الذاكرة التاريخية، لكنه يفرض على الباحث التحفظ عند التعامل معها بوصفها حقيقة تاريخية مكتملة.

المبحث الثاني

غياب الدولة الريانية في المصادر العربية الكلاسيكية

عند الرجوع إلى المصادر العربية الكلاسيكية التي أرّخت لشرق إفريقيا، مثل مؤلفات المسعودي، والإدريسي، واليعقوبي، وغيرهم، يلاحظ الباحث غياب أي ذكر صريح لكيان سياسي يُمكن مطابقته مع الدولة الريانية.

وتكتسب هذه الملاحظة أهميتها من كون هذه المصادر كانت حريصة على تسجيل المراكز التجارية، والكيانات السياسية، والظواهر الاجتماعية البارزة في المناطق التي تناولتها. ويُعد غياب الدولة الريانية من هذه المصادر مؤشرًا مهمًا، لا يمكن تجاهله في أي دراسة علمية.

غير أن هذا الغياب لا يُفسَّر بالضرورة بعدم وجود أي نفوذ رياني، بل قد يدل على أن هذا النفوذ لم يكن بالقدر الذي يجعله كيانًا سياسيًا إقليميًا واضح المعالم، أو أنه كان محليًا ومحدود التأثير.

المبحث الثالث

الرواية الريانية في ضوء الدراسات الأجنبية الحديثة

تُقدّم الدراسات الأجنبية الحديثة حول شرق إفريقيا، مثل أعمال ترمنغهام، ولويس، وموسوعة Cambridge History of Africa، صورة عامة للبنية السياسية والاجتماعية في المنطقة، وتُجمع هذه الدراسات على أن أنماط الحكم السائدة كانت في الغالب لامركزية، قائمة على الزعامات المحلية، والسلطة الدينية، وشبكات التجارة.

ولا تشير هذه الدراسات إلى وجود دولة مركزية باسم الدولة الريانية، لكنها تُبرز بوضوح الدور الذي لعبته الأسر الدينية والأنساب في تشكيل النفوذ المحلي. ويُعد هذا الطرح منسجمًا مع ما تقدمه الرواية الريانية، إذا ما فُسِّرت بوصفها تعبيرًا عن نفوذ اجتماعي–ديني، لا دولة سياسية مكتملة.

وبذلك، يمكن القول إن الدراسات الأجنبية لا تدعم وجود الدولة الريانية كدولة، لكنها لا تنفي وجود دور تاريخي للأسر التي ارتبطت بهذه الرواية.

المبحث الرابع

تقييم منهج الدراسات المعاصرة (إسماعيل مسعد غريب نموذجًا)

تُعد مؤلفات الدكتور إسماعيل مسعد غريب من أهم الأعمال المعاصرة التي تناولت الرواية الريانية، وتمتاز بجمعها بين الرواية الشفهية، والأنساب، وبعض الإشارات التاريخية. ويُحسب لهذه الأعمال سعيها إلى حفظ الذاكرة المحلية، وربطها بالسياق الإسلامي العام. غير أن منهج هذه الدراسات يواجه عددًا من التحديات، أبرزها:

- الاعتماد الكبير على المصادر المتأخرة
- ضعف التحديد الزمني الدقيق
- محدودية المقارنة بالمصادر المعاصرة والوثائقية

وعليه، فإن القيمة العلمية لأعمال غريب تكمن في كونها مصادر لفهم الخطاب الرياني والذاكرة التاريخية، لا في كونها أدلة قاطعة على قيام دولة سياسية، ومع أن هذا النقد روي منظور الباحثة، إلا أن دراسات الدكتور غريب مازالت مبنية على أسس دينية مرتبطة بنسل النبي محمد وصحابته، وليس لاحد المقدرة على علم الغيب وأن ما تم طمسه من حضارة الدولة الريانية يعد ذو هدف واضح من أجل طمس معالم الحضارات الإسلامية .

المبحث الخامس

مفهوم الدولة بين الرواية والمعايير التاريخية

يُعد مفهوم الدولة حجر الزاوية في هذا النقاش. فوفق المعايير التاريخية، تتطلب الدولة وجود:

- سلطة سياسية واضحة
- تنظيم إداري
- سيطرة على إقليم
- قدرة على فرض النظام

وبمقارنة هذه المعايير بما تقدمه الرواية الريانية، يتضح وجود فجوة واضحة بين المفهومين. فالرواية تركز على النسب والشرعية الدينية، دون تقديم أدلة كافية على وجود مؤسسات أو سيادة سياسية.

المبحث السادس

بين الذاكرة التاريخية والواقع التاريخي

تُبرز الرواية الريانية أهمية الذاكرة التاريخية في تشكيل الهوية الجماعية، وهي وظيفة اجتماعية وثقافية مشروعة. غير أن وظيفة المؤرخ تختلف عن وظيفة الذاكرة، إذ يسعى المؤرخ إلى إعادة بناء الماضي بناءً على الأدلة والتحليل النقدي.

https://scopmajd.com/ « ISI: (0.360) « ISSN (Online): 3005-2033

وفي هذا الإطار، يمكن فهم الرواية الريانية بوصفها تعبيرًا عن حاجة اجتماعية لإثبات الجذور، والشرعية، والانتماء، خاصة في سياقات تاريخية شهدت تحولات سياسية وثقافية عميقة.

خلاصة الفصل

خلص هذا الفصل إلى أن الرواية الريانية، على الرغم من ثرائها السردي وأهميتها في دراسة الذاكرة التاريخية لشرق إفريقيا، لا تتوافر لها الأدلة الكافية لإثبات قيام دولة سياسية مكتملة الأركان بالمعنى التاريخي. غير أن هذا لا ينفي الدور الاجتماعي والديني الذي لعبته الأسر المرتبطة بهذه الرواية، ولا يقلل من أهميته في تاريخ المنطقة.

ويُعد هذا التقويم النقدي أساسًا ضروريًا للانتقال إلى الخاتمة العامة للبحث، التي تُلخّص النتائج، وتقدّم رؤية منهجية متوازنة حول الدولة الريانية.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى دراسة ما يُعرف بـ الدولة الريانية في شرق إفريقيا دراسة تاريخية نقدية، انطلقت من تتبع الروايات المتداولة حول هذا الكيان، وتحليلها في ضوء السياق الجغرافي والتاريخي للمنطقة، ومقارنتها بالمصادر العربية الكلاسيكية والدراسات الأجنبية الحديثة. وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي النقدي، مع الاستفادة من المنهج المقارن، بهدف التمييز بين الرواية التاريخية والواقع التاريخي الموثق.

وقد أظهر البحث أن الرواية الريانية تمثل خطابًا تاريخيًا معاصرًا غنيًا من حيث السرد والذاكرة الجمعية، خاصة في مؤلفات بعض الباحثين المعاصرين الذين أولوا اهتمامًا خاصًا بالأنساب والهجرات العربية ودورها في تشكيل النفوذ الاجتماعي والديني في شرق إفريقيا. غير أن هذا الثراء السردي لا يقابله حضور مكافئ في المصادر المعاصرة للفترة المدروسة، وهو ما يفرض التعامل مع هذه الرواية بحذر منهجي.

كما بيّن البحث أن غياب ذكر الدولة الريانية في المصادر العربية الكلاسيكية، إلى جانب عدم توثيقها بوصفها دولة مركزية في الدراسات الأجنبية الحديثة، لا يسمح بالجزم بقيامها كدولة سياسية مكتملة الأركان. ومع ذلك، لا يمكن إغفال الدور التاريخي الذي لعبته الأسر ذات الأصول العربية والحسينية في نشر الإسلام، وبناء شبكات اجتماعية وثقافية كان لها تأثير بالغ في تاريخ المنطقة.

وبذلك، خلص البحث إلى أن ما يُعرف بالدولة الريانية يُمكن فهمه على نحو أدق بوصفه نموذجًا من نماذج النفوذ الديني–الاجتماعي المحلي، الذي اتخذ في الذاكرة التاريخية شكل الدولة، دون أن تتوافر له المقومات المؤسسية والسياسية التي تُعرّف الدولة بالمعنى التاريخي الدقيق.

النتائج

توصل البحث إلى جملة من النتائج، يمكن إجمالها فيما يأتي:

١. أن الرواية الريانية تعتمد في الأساس على مصادر متأخرة، وعلى الذاكرة المحلية والأنساب، وهو ما يمنحها قيمة ثقافية واجتماعية، لكنه يحدّ من قدرتها على إثبات قيام دولة سياسية تاريخية.
2. أن المصادر العربية الكلاسيكية التي تناولت شرق إفريقيا لم تذكر كيانًا سياسيًا يُمكن مطابقته مع الدولة الريانية، وهو غياب ذو دلالة تاريخية لا يمكن تجاهله.
3. أن الدراسات الأجنبية الحديثة تُجمع على أن أنماط الحكم في شرق إفريقيا خلال الفترات المعنية كانت في الغالب لامركزية، قائمة على الزعامات المحلية والسلطة الدينية، لا على دول مركزية واضحة.

4. أن مؤلفات الدكتور إسماعيل مسعد غريب تُعد من أهم الأعمال المعاصرة التي وثّقت الرواية الريانية، وأسهمت في حفظ الذاكرة التاريخية، لكنها تحتاج إلى التعامل معها بوصفها مصادر تحليل للرواية، لا أدلة قاطعة على قيام الدولة.
5. أن النفوذ الرياني – إذا صحّ وجوده – كان نفوذًا دينيًا واجتماعيًا بالدرجة الأولى، ولم تتوافر له عناصر التنظيم الإداري والسياسي التي تُعد من مقومات الدولة.
6. أن استخدام مصطلح "الدولة" في وصف الكيان الرياني يعكس تصورًا هوياتيًا ورمزيًا أكثر مما يعكس توصيفًا تاريخيًا دقيقًا.

التوصيات

في ضوء ما توصل إليه البحث من نتائج، يوصي الباحث بما يأتي:

١. ضرورة إجراء دراسات ميدانية وأثرية في مناطق شرق إفريقيا المرتبطة بالرواية الريانية، للكشف عن أي شواهد مادية قد تُسهم في إضاءة جوانب جديدة من هذا الموضوع.

٢. تشجيع الباحثين على جمع الروايات الشفهية المتعلقة بتاريخ شرق إفريقيا وتوثيقها توثيقًا علميًا، مع إخضاعها للنقد والمقارنة بالمصادر المكتوبة.

٣. الدعوة إلى مزيد من الدراسات المقارنة حول أنماط الحكم المحلي في شرق إفريقيا، بهدف فهم الفروق بين الزعامة الدينية، والسلطة الاجتماعية، والدولة السياسية.

٤. التأكيد على أهمية التمييز المنهجي بين الذاكرة التاريخية والواقع التاريخي في الدراسات المعاصرة، خاصة تلك التي تتناول قضايا الأنساب والكيانات السياسية غير الموثقة.

٥. إعادة النظر في استخدام المصطلحات التاريخية، ولا سيما مصطلح "الدولة"، بما ينسجم مع المعايير الأكاديمية الدقيقة، لتجنب الخلط بين المفاهيم.

٦. تشجيع التكامل بين الباحثين المحليين والدوليين في دراسة تاريخ شرق إفريقيا، بما يسهم في تقديم صورة أكثر توازنًا وموضوعية عن تاريخ المنطقة.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن حوقل، محمد بن علي. (١٩٩٢). صورة الأرض. بيروت، لبنان: دار صادر.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد. (٢٠٠٤). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. بيروت، لبنان: دار الفكر.

الإدريسي، محمد بن محمد. (٢٠٠٢). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. بيروت، لبنان: دار صادر.

حسن، محمد عبد الرحيم. (٢٠١٦). الهجرات العربية وأثرها في شرق إفريقيا. القاهرة، مصر: دار النهضة العربية.

السيد، أحمد محمود. (٢٠١٨). الأنساب والسلطة في المجتمعات الإسلامية الإفريقية. القاهرة، مصر: دار الشروق.

عبد الله، عبد العزيز. (٢٠١٤). الإسلام والمجتمع في شرق إفريقيا. القاهرة، مصر: مكتبة الآداب.

غريب، إسماعيل مسعد (محقق). (٢٠٢٠). تاجورة في ظل الحكم الرياني (تحقيق ونشر). القاهرة، مصر: دار نشر غير محددة.

غريب، إسماعيل مسعد (محقق). (٢٠٢١). النزعة الإسلامية لملوك الدولة الريانية (تحقيق ونشر). القاهرة، مصر: دار المعارف.

غريب، إسماعيل مسعد (محقق). (٢٠٢١). صراع الحبّاش مع الدولة الريانية (تحقيق ونشر). القاهرة، مصر: دار المعارف.

غريب، إسماعيل مسعد (محقق). (٢٠٢١). محو آثار الدولة الريانية (تحقيق ونشر). القاهرة، مصر: دار المعارف.

غريب، إسماعيل مسعد. (٢٠٢١). الدولة الريانية المزعومة في شرق إفريقيا ومنشوراتها المزيفة. القاهرة، مصر: دار المعارف.

غريب، إسماعيل مسعد. (٢٠٢٢). الفكر الحضاري للدولة الريانية. القاهرة، مصر: دار الوهيبي للنشر والتوزيع.

المسعودي، علي بن الحسين. (٢٠٠٥). مروج الذهب ومعادن الجوهر. بيروت، لبنان: دار الفكر.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب. (١٩٩٥). كتاب البلدان. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

Cambridge University Press. (1975). The Cambridge History of Africa (Vol. 3). Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Horton, M., & Middleton, J. (2000). The Swahili: The Social Landscape of a Mercantile Society. Oxford, UK: Blackwell.

Lewis, I. M. (2002). A Modern History of the Somali. Oxford, UK: James Currey.

Pouwels, R. L. (1987). Horn and Crescent: Cultural Change and Traditional Islam on the East African Coast, 800–1900. Cambridge, UK: Cambridge University Press.

Trimingham, J. S. (1976). Islam in Africa. Oxford, UK: Oxford University Press.